مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449
مجلد: 06. عدد: 02 السنة : 2007

المجتمع القسنطيني من خلال نوازل عبد الكريم الفكون

Constantine society through the calamities of Abdel Karim Al-Fakun

ط.د.لطرش حنان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية

ملخص:

كانت قسنطينة – على مر العصور – وما زلت مبعث النهضات ومهد البطولات وموطن الحركات العلمية، فهي ذات ماض مجيد ، وحاضرة من حواضر العالم الإسلامي في العلم والحضارة والعمران ومحط رحال العلماء والشعراء والفلاسفة، وقد أنجبت مدينة قسنطينة كثيرا من العلماء الفطاحل والنوابغ، ومنهم شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون الذي عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وكان صرخة مدوية في وجه الفساد الاجتماعي والديني والسياسي خلال العهد العثماني، وخاض معركة مقدسة من أجل الرجوع بالأمة إلى دينها الصحيح وقد قام محمد بن عبد الكريم الفقون الذي يعتبر من أهم المفتين ببايلك الشرق الجزائري قسنطينة ؛ بجمع وتدوين النوازل والفتاوي الفقهية للعديد من العلماء المحليين وحتى المغاربة و المشارقة والتي عبرت عن الانشغالات اليومية لسكان البايلك في مختلف مجالات الحياة مما جعلها مصدرا هاما للعديد من القضايا الثقافية والفكرية وكذلك الاقتصادية والاجتماعية، في بايلك قسنطينة وقد عنيَ الدارسون باستثمار كتب النوازل والأحكام لأنها وثائق مهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي وغير ذلك، وتطرقوا إلى جملة من القضايا المعالجة في المصادر والمراجع النوازلية،

كمسائل القرآن وعلومه، وقضايا العقيدة، وتوجيه الممارسة الصوفية، دون إغفال الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: النوازل-عبد الكريم الفقون-قسنطينة-المظاهر الاجتماعية

summary:

Constantine – throughout the ages – has been and continues to be the source of renaissances, the cradle of championships, and the home of scientific movements. It has a glorious past, and is one of the metropolis of the Islamic world in science, civilization, and construction, and the travel destination of scholars, poets, and philosophers. The city of Constantine has given birth to many brilliant and brilliant scholars, including the Sheikh of Islam. Abdul Karim Al-Fakun, who lived during the eleventh century AH (seventeenth AD) and was a loud cry in the face of social, religious and political corruption during the Ottoman era, and he fought a holy battle in order to return the nation to its true religion. Muhammad bin Abdul Karim Al-Fakun, who is considered one of the most important muftis, Babelek, East Algeria, Constantine; By collecting and recording calamities and jurisprudential fatwas of many local scholars, even Moroccans and Levantines, which expressed the daily

preoccupations of the people of Beylik in various areas of life, which made them an important source for many cultural and intellectual issues, as well as economic and social issues. In Beylik Constantine, scholars were keen to invest in books of calamities and rulings because they are documents. Important in the study of social and cultural history, etc., and they touched on a number of issues addressed in the Nawazili sources and references, such as issues of the Qur'an and its sciences, issues of faith, and guiding Sufi practice, without neglecting the economic, political and social aspects.

Keywords: catastrophes – Abdel Karim Al-Faqoun – Constantine – social manifestations

أولا-المكانة الاجتماعية لعائلة الفكون :

يعد البيت الفكوني من البيوتات العريقة والشهيرة بقسنطينة الجاه والعلم والصلاح قبل الأعمال الحكومية والوظائف المخزنية[1]،؛ ويرجع أصلها إلى قبيلة تميم العربية لأنهم يتبعون أسماءهم بهده النسبة (بني تميم) .[2]،لكن عبد القادر الراشدي القسنطيني (ت1780)الذي كان يشغل منصب القضاء الحنفي بقسنطينة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ينكر هده النسبة ويذكر أن عائلة ابن

[1] حول عائلته ومكانتها طالع، أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص ص 37. 57.

[2] عبد الكريم الفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص7.

الفكون يعود أصلها إلى قرية "فكونة" بمنطقة الأوراس[1]،وقد أصبحت هده العائلة في العهود الأخيرة تعرف بعائلة سيدي الشيخ [2].

ومهما قيل في أصل العائلة ونسبها فمن المؤكد أنها من الأسر العريقة بقسنطينة، ،حيث يصفها الغريني في كتابه "عنوان الدراية " بقوله :"عبد الكريم الفكون من الفضلاء النبلاء ،وكان مرفع المقدار،ومن له الحظوة والإعتبار،وكان الأدب له من باب الزينة والكمال ...وأصله من قسنطينة من دوي بيوتاتها ومن كريم أروماتها"[3]، ويعتبر،عبد الكريم الفكون الجد(ت988هـ) من أشهر الشخصيات التي داع صيتها حيث كان أول من تولى وظيفة الإمامة و الخطابة من عائلة الفكون بالجامع الكبير بقسنطينة خلال العهد العثماني بعد سنة 975هـ،وقد ترجم له عبد الكريم الفكون الحفيد في "منشور الهداية "فقال عنه« كان منشغلا بما يعنيه دينا ودنيا معتكفا على الإقراء والتدريس وكان إماما بالجامع الأعظم وخطيبه، وممن يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام ،وكانت الولاية أغلب عليه، مواظبا على الاذكار وقيام الليل إلى أن مات [4]» .ومنهم أيضا والد عبد الكريم الفكون الحفيد الذي تولى جميع وظائف أبيه من إمامة وخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة وقد توفي أثناء رجوعه من الحج في مكان بين الحجاز ومصر عام 1045هـ ،وكان فقيها صوفيا ،ويرجع إليه في المسائل والافتاء[5].

1 سليمان الصيد، نفح الأزهار عمّا في مدينة قسنطينة من الأخبار، إصدار وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص17.

[2] أبو قاسم سعد الله :، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ،دار الغرب الأسلامي ، ط ...،بيروت1986،ص42

[3] الغبريني:عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة،تح:رابح بونار،الشركة الوطنية للتوزيع والنشر،الجزائر،1981،ص334.

[4] عبد الكريم الفكون،منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية،تح:أبو قاسم سعدالله ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان1987،ص48

[5] عبد الكريم الفقون، نفسه، ص 52

وقد استطاعت عائلة الفكون خلال العهد العثماني ـ أن تحصل على إمتيازات كثيرة وأن تحتل مكانة اجتماعية مرموقة بسب ثروتها الطائلة ،وتولي أفرادها لمناصب رسمية ودينية مهمة، كما كانت تملك زاوية ومدرسة باسم العائلة كدليل على نفوذها الاجتماعي ساهمت في نشر العلم وإيواء العلماء والطلاب، والقيام بأعمال البر والإحسان وازداد نفوذ العائلة الاجتماعي والروحي بعد أن انتقلت إمارة ركب الحج من عائلة عبد المؤمن إلى عائلة الفكون ،وقد تم دلك في حياة عبد الكريم الفكون الحفيد الذي بلغت في عهده العائلة ذروة مجدها وشرفها وقوتها، وقد بقيت إمارة ركب الحج في أيدي افرادها لقرون عديد ،وكان آخر من تولاها محمد بن عبد الكريم بن بدر الدين الذي أدركه الاحتلال الفرنسي وهو يناهز الثمانين من عمره والدي توفي عام 1256هـ.[1]

ثانيا –التعريف بعبد الكريم الفكون الحفيد صاحب المنشور(ت1073هـ/1662م):

1 –اسمه ومولده:

سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد بن عبد الكريم الفقون القسنطيني[2] ولد سنة 988هـ/1580م، ، وهي السنة التي توفي فيها جده عبد الكريم الفقون فسميّ عليه.[3] الذي وافته المنية ليلة الجمعة فاتح رجب من نفس العام، فيكون بين ولادته ووفاة جده أكثر من أربعة شهور[4].ويكنى أبا محمد[5] ،

[1] المهدي بوعبدلي،"عبد الكريم الفقون القسنطيني" مجلة الاصالة ع51،نوفمبر 1977،ص 17

[2] عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العيّاشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، 514/2 . محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، القسم الثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، منشور ضمن موسوعة أعلام المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، 1511/4 . محمد بن مخلوف، شجرة النور الزّكية في طبقات المالكية، دار الفكر، بيروت، ص309.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، 527/2.

[4] عبد الكريم الفكون :**منشور الهداية**،ص51

[5] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية**،تح:سعيد الفاضلي و سليمان القشي،ج2،دار السويد للنشر والتوزيع،الإمارات العربية المتحدة ،ط1، 2006م،ص39

والفكون بفتح الفاء وضم الكاف المشددة و معروف بالفكوك القسنطيني. كما لقب بشيخ الإسلام[1] وقد قال المقري عن عبد الكريم الفكون"هو العالم الدي ورث المجد لا كلالة، وتحقَّق الكل أن بيته شهير الجلالة ، بيت بني الفكون ، هضاب العلم والوقار والسكون لا زال الخلف منهم يُحبون مآثر السلف"[2] ويعرفون باسم عائلة الشيخ[3].

2 نشـــــــــــــــــــأتـــــــــــــــــــــه:

-نشـأ الفكون في بيت علم ودين، فاحتضـنته (زاوية الفكون) التي تمتلكها عائلته فتربى تربية دينية في كنف والده المتوفي (1040هـــ)الدي عاش معه حوالي ستين عاما، فساعده الحظ على حفظ القرآن الكريم ،ثم عكف على تحصـيل مختلف العلوم الشـريعة واللغوية، النحوية منها خصـوصـا: فيفصح في مؤلفاته عن سبب اهتمامه بعلم النحو، أدكر منها : الزوايا التي أثرت عليه في منامه تأثيرا معنويا صـوفيا كما يقول الدكتور أبو قاسـم سـعد الله بأنها أقرب للخيال من الحقيقة [4]ويفسـر ما رآه في منامه بأنه دعوة جده لتمكنه من العلم والفقه،اد يقول :" رأيت الجد –رضـي الله عنه-في النوم مرتين أو أكثر، وفي إحداهما كأني بمدرسة دفنه قاصدا نحو بيت الصلاة منها، وكأنه يخاطبني من قبره، ويقول له: اقرأ، وناولني قرطاسـا مكتوبا فيه بالأصـفر، فتأملته، فإدا فيه:(قال) فعل ماضٍ، أو كلاما هدا معناه لطول عهدي بالرؤيا، فانتبهْت ووقع بالي أنه إذن منه في الاشـتغال بعلم النحو، فاشـتغلتُ به فحصـلتْ لي فيه مَلكة، والحمد لله ، ودلك من بركته رضـي الله عنه"[5]،لقد تقلد إمارة

[1] أحمد بن محمد المغربي:نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،تح:احسان عباس،ج2،دار صادر بيروت،1968م،ص480.

[2] عبد القادر بوزياني:حياة شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني(ت1073هـ)وأثاره العلمية كتاب"فتح المالك في شرح لامية ابن مالك"،جامعة حسيبة بن بوعلي،الشلف،ص171.

[3] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية(دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)،دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي-الجزائر،ط2،ص525

[4] سعد الله : شيخ الإسلام،ص118

[5] الفكون ، **المصدر السابق**،ص53.

ركب الحج بعد انتقالها من أسرة عبد المؤمن[1] تولى وظائف والده بعد وفاته سنة 1045هـ/1635م خاصة إمارة ركب الحج ذلك أنّ الوثائق تتحدّث عن تجديد تسميته أميرا لركب الحجّ سنة 1048هـ/1638م من قبل علي باشا، واصفا إياه بالشيخ العالم القدوة التقي الناسك الأبرّ النّحرير المؤلف البليغ سيدي عبد الكريم الفقون.[2]

وقد نال الشيخ عبد الكريم الفكون إعجاب العلماء، فأثنوا عليه وكان محل تقدير[3] وقد ترجم للفكون كثير من المؤرخين من بينهم : صاحب شجرة النور الزكية :"الإمام العلامة العمدة القدوة الفهامة الجامع بين الباطن والظاهر "[4]، وأبو سلم العياشي:"العلامة الفهامة الناسك الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني "[5]. كما ورث عبد الكريم الفقون عن والده وجده وظائف الجامع الكبير(الأعظم)، وهو الجامع الذي يقع بحي البطحاء قرب دار آل الفقون، وهذه الوظائف هي التدريس به وإمامة المصلين فيه والخطبة على منبره أيام الجمع والأعياد، والسهر على أوقافه. [6]

3-مؤلفاته:

[1] كان بين أسرة عبد المؤمن وأسرة الفكون تنافس في إمارة الحج .ينظر :سعيدوني: ورقات جزائرية،ص113

2 للاطلاع على نص الوثيقة انظر، Ernest mercier-. «*constantine au XVI siécl .Elévation de la famille El- faggon* » Recueil des notice *et mémoires de la société archéologique du dé partement de Constantine Vol XIX –Année 1878 -,P17 -18*

[3] الفكون: منشور الهداية ،ص76

[4] ابن سالم مخلوف:شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،علق:عبد المجيد خيالي،ج1،دار الكتب العلمية، لبنان،ط2003،1م،ص309

[5] عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية ،تح:سعيد الفاضلي-سليمان القرشي،ج1،دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة،ط1، 2006م،ص286.

6 أبو القاسم سعد الله، داعية السلفية، ص69.

ألّف عبد الكريم الفقون مجموعة من الكتب والرسائل أو التقاييد في مجالات شتى [1] ، خاصة وأنّ عمره امتدّ إلى ما يقرب من خمسة وثمانين سنة (988-1073هـ)، والمتتبع لنشاطه العلمي يلحظ أنه كرس الجزء الأكبر من حياته في التعلم والتعليم والتأليف، نذكر منها:

1- منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية، هو كتَاب في التَّراجم يكشف عن أحوال النَّاس في عَصر المؤلِّف، بأسلوب سهل يوحي بالنَّقد الاجتماعي والدِّيني، والسّياسي، ألفه بعد عام (1045هـ/ 1635م .2

2- محدّد السنان في نحور إخوان الدّخان، انتهى منه سنة 1025هـ/1617م، يحتوي جملة من أجوبة الأئمَّة حول تَحريم الدُّخان، وهو فِي عدَّة كراريس.[3]

3- ديوان شعر في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – مرتبٌ على حروف المعجم، انتهى منه سنة 1031هـ/1621م.[4]

4- تقييد ذكر فيه مرضه سنة 1025-1028هـ/1617- 1618م، أشار إليه في منشور الهداية قائلا عن المرض وتلونه وعدم ثبات مجيئه على صفة واحدة وهو الذي أوجب تقييده في غير هذا.[5]

5- شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض، أو العدّة في عقب الفرج بعدة الشدة، نظم له ذكره في منشور الهداية، موضحا أنه غير الديوان المذكور، وهو توسل بالرسول صلى الله عليه وسلم وبأصحابه والتابعين والفقهاء والأولياء.[6]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص145.

[2] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص146.

[3] العياشي، المرجع السابق، 2 /391 . أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق ،1/ 168 . أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص 146.

[4] شيخ الإسلام، ص146.وهو مخطوط بزاوية الهامل ببوسعادة (الجزائر).

[5] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص146.

6 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص206 . شيخ الإسلام، ص146.

6- مجموعة خطب أشار إليها في منشور الهداية عند الحديث عن الخطبة التي كتبها لأحد معاصريه وهو أحمد ابن باديس.[1]

7- سربال الرّدة في جعل السبعين لرواة الإقراء عدة، في القراءات، وهو كراسة في واقعة وقعت له مع أحد معاصريه، وهو حميدة (أحمد) بن حسن الغربي(ت 1030هـ).[2]

8- تقييد في كرامات الشيخ عمر الوزان.[3]

9 - نظم الدرر على شرح المختصر، وهو شرح على مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري الذي يسميه بعبد الرحمان الصغير.[4]

10- تقييد في مسألة حبس يقع في كراسة. [5]

11- سلاح الذليل في دفع الباغي المستطيل، وهي قصيدة نسخها تلميذه محمد وارث الهاروني المتيجي، واعتمد عليها في دفع ظلم عمه الذي اشتكى منه للفقون، كما استنسخها منه المغاربة وكان قد نظمها في الشيخ محمد بن نعمون.[6]

12- شرح مخارج الحروف من الشاطبية في القراءات.[7]

13- شرح على إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة. [8]

1 عبد الكريم الفكون، شيخ الاسلام، ص 164.

2 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 78 . أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق، ص147.

3 المرجع نفسه، ص147.

4 عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص46. أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، المرجع السابق ، ص147 . 148.

5 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص 148.

6 أبو القاسم سعد الله، منشور الهداية، ص241 . شيخ الإسلام، ص149.

7 محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص310 . أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص 150.

8 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص 150.

14- فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي في التصريف(كتاب في علم تصريف العربية) فرغ من تأليفه سنة 1048هـ/ 1638م.[1]

15- فتح المالك على لامية ابن مالك، قيل أنه ألفه قبل سنة 1048هـ/1638م، والظاهر أنه شرح على لامية ابن مالك في التصريف، وهو يذكر صاحب اللامية أحيانا باسم صاحب التسهيل.[2]

16- فتح المولى في شرح شواهد الشريف ابن يعلى.[3]

17- شرح على شواهد الشرّيف بن يعلى على الجروميّة التزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد معنى وإعرابا، ألفه قبل سنة 1048هـ/ 1638م. [4]

17- فتح الهادي في شرح جمل المجرادي ألفه بعد سنة 1048هـ/1638م ، ذكره كل من الثعالبي والعياشي ولكن دون عبارة (فتح الهادي). [5]

18. حوادث فقراء البيت. [6]

19-النوازل في الفتوى

ثالثا-**تعريف النوازل**

1 العياشي، المرجع السابق، 391/2 . تعريف الخلف، 1/ 168 . أبو القاسم سعد لله، شيخ الإسلام، المرجع السابق، ص150، قام بتحقيقه الدكتور ابن ابراهيم السعيد في رسالة دكتوراه، إشراف أ.د عبد الله بوخلخال، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية، 2004م.

2 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص 151، قامت بتحقيقه الدكتورة وردة مسيلي كرسالة دكتوراه، إشراف أ.د عبد الله بوخلخال، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية،2008م، وحقّقه الدكتور خالد بن صالح بن حمد الشبل في رسالة الدكتوراه، إشراف إبراهيم بن سليمان البعيمي، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم اللغويات، المدينة المنورة، كرسالة دكتوراه، 1430هـ/2009م.

3 قام بتحقيقه أبو الأنوار بن المختار دحية، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، 2007م.

4 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص151.

5 محمد بن مخلوف، المرجع السابق، ص310 . أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام، ص 151 . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 160/2.

6 محمد بن مخلوف، المرجع نفسه، ص310 .

1-النوازل لغة: جمع نازلة، وهي اسم فاعل من نزل ينزل فهو نازل.ومؤنثه نازلة، وتجمع على نازلات، وهو جمع قياسي، ولهذه المادة أو الجذر(ن ز ل) معاني لغوية عديدة، نذكر منها:

أ ـالتهيئة: فما يهيأ للضيف يسمى نُزلا، يقال أنزله منزلته إذا هيأ له نُزُلا يناسبه.

ب ـ الحلول والاستقرار: تقول نزل ينزل منزلا، إذا حلَّ.

ج ـ الترتيب: نُزّل تنزيلا أي رُتب ترتيبا.

د ـ التزكية والنماء: ومنه قول العرب هذه أرض نَزْلَة أي زاكية الزرع.

هـ ـ الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس[1]..

ومن أمثلة هذه النوازل: الحرب والوباء والقحط والأمطار والسيول والفتن وما شابه ذلك.

2- النوازل اصطلاحا: النازلة هي: ((الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي))[2]

ـالنوازل هي: ((الوقائع الجديدة التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد))[3].

ـ وعرفها الشيخ عبد الله بن بية بأنها: ((وقائع حقيقية تنزل بالناس فيتجهون للفقهاء بحثا عن الفتوى فيها، فهي تمثل جانبا من جوانب الفقه متفاعلا مع الحياة المحلية لمختلف المجتمعات))[4]

.

3- مصطلح النوازل في الأدبيات الإسلامية

شـــاع في بلاد المغرب اســـتعمال مصـــطلح"النوازل" ويقـابله في أدبيـات المشـــارقة مصطلح"الفتوى"، ، والمقصود بالنازلة الشدائد[5]، ويقصدون الأهوال التي لحقت الناس، وإن كانت الحوادث الواقعية الشـديدة جزءا من النوازل، ولكنّها ليسـت كلّها من هذا النمط، ففي بلاد المغرب كانت تقع لجمهور المتدينين حالات جديدة ومحددة لم ينقل القول فيها في النصـــوص المنقولة من المركز(الشرق)، فأصبح المغرب مركزا منتجا للمعرفة الفقهية المتعلّقة بالمستجدات الحادثة للأمة

[1] انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نزل) (656/11)، والفيومي، المصباح المنير، ص (309).

[2] قلعة جي، معجم لغة الفقهاء، ص441

[3] مسفر القحطاني، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة، ص90.

[4] عبد الله بن بية، صناعة الفتوى وفقه الأقليات ،ص17

[5] قال ابن منظور في كتابه: لسان العرب: ((والنازِلة الشدَّة من شدائد الدهر تنزل بالناس)).

في المغرب، فقد كانت الوقائع الجديدة فرصـــة لظهور فقه مغربي، فســـميت الوقائع الجديدة "النوازل"و أجوبتها "فقه النوازل".

فالنوازل تؤرّخ لواقع اجتماعي وفكري وثقافي وسياسي، كما يستفاد منه مستوى التحصيل في المعرفة الدينية، والسؤال المركزي، كيف السبيل إلى استشفاف التاريخ بمختلف مكوّناته من نص النوازل وأجوبتها؟

رابعا –النوازل ودلالتها على التاريخ الاجتماعي والثقافي

تتضـــمن النوازل وفق ما أشـــرنا إليه تاريخا مكتملا، لهذا تمكّننا النوازل من معرفة جملة من المعطيات المرتبطة بالمشهد، ولأجل الخلوص إلى المراد سنتوقّف عند جملة من المكوّنات:

1–واقع النازلة

النوازل تكشـــف بعض الجوانب الغامضـــة من واقع الحياة التي ظهر فيها نص فقه النوازل، ويمكن من النص الوقوف على جملة من المعارف والمعطيات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـــ معرفة الأسئلة المتداولة والقضايا المثارة، ومنها نكتشف عقلية السائل وعقلية المجيب، "المستوى الثقافي" كما يمكننا أن نستخلص دور مؤسسات التعليم في توعية المجتمع وعلاقتها بالسلطة السياسية و دورها الاجتماعي والفكري ثم الديني.

2 ـ معرفة درجة استحضار الأسئلة والأجوبة للمشاكل اليومية للناس يمكن ان نستخلص منها الأوضـــاع الاجتماعية لمختلف فئات المجتمع ، كما يمكن معرفة دور العلماء في ضـــبط الحياة الاجتماعية وعلاقتهم بالمجتمع ومكانتهم العلمية من خلال علاقتهم بالأهالي ومعرفتهم الدينية واجتهادهم في مختلف القضايا التي تطرح عليهم .

3 ـ يمكن للباحث من خلال النوازل التعرف على مختلف الأزمات المؤثرة في حياة المجتمع والأسرة والفرد بصفة مباشرة أو بطريق غير مباشر، كما يمكن استخلاص مختلف المظاهر عن الوضع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

2–دراسة تطبيقية في كتاب نوازل الفقون

كتاب النوازل الفكون هو موسوعة فقهية كاملة، غير ان قراءتها تحتاج الى التدقيق والصبر وعادتا ما تعترض الباحث جملة من الصعوبات في قراءتها منها:

1 . قراءة في السؤال

نكتشف بالتدقيق في أسئلة وقضايا فقه النوازل الواقع الذي يتصوّره السائل وصلته بالواقع كما هو عليه في حقيقة الأمر، لهذا يعد السؤال تأريخا من زاويتين، تأريخ للسائل وتأريخ للواقع كما هو لاكما يريده السائل، لهذا فالسؤال تأريخ بامتياز، تاريخ اجتماعي وثقافي وتربوي وفكري.

. مقدمات الأسئلة

تستهل الأسئلة بمقدمات، نستشف منها بعض الرسائل التاريخية والثقافية، منها على السبيل المثال لا الحصر.

1.تحديدالاطار الزماني والمكاني للنازلة: الأولى تكمن من خلال قراءة السؤال والجواب فعادتا ما تتشكل من شقين سؤال وجواب وغالبا ما يكون السؤال موجه لفقيه معروف و قد يحصل ان لا يذكر اسم الفقيه بل تذكر كنيته فحسب كأبي محمد وهدا يؤدي في بعض الأحيان دون معرفة المفتي والاطار الزماني والمكاني للنازلة لذلك يحتاج المؤرخ لمعرفة تاريخ الولادة والوفاة وبأكبر قدر من التفاصيل تصبح أمرا ضروريا ليتمكن الباحث من تأطير النازلة فمن المعلوم ان النازلة لم توضع من أجل استعمال المؤرخ فهي نصوص جمعت من أجل الفقه والمشتغلين بالفقه ولهدا لا تهتم بعامل الزمن أو المكان الانادرا .

وفي بعض الأحيان يمكن ان يحمل النص تاريخ ومكان السؤال وهذه تعتبر حالة مثلى للباحث ، كما هناك حالات يقتصر فيها صاحب المجموع على صيغة وسئل أو "سئل أيضا" التي تحيل الى دكر اسم الفقيه في الأول .

كما يمكن معرفة تواريخ النازلة من خلال أسماء الشهود او العدول وذلك حتى نتحقق من تاريخ النازلة مع الاخد بعين الاعتبار تاريخ تحرير العقد او سنة اطلاع القاضي عليه فإننا وجب الأخذ بعين الاعتبار المسافة الزمنية بين خ الحدث وتاريخ بث الفقهاء فيه .

2.من المشاكل كذلك التي تتعلق باستغلال النوازل ما يتعلق بما هو افتراضي وما هو واقعي واذا كان بالإمكان الاهتداء الى ملامح الواقع من هده القضايا اعتبارا لما تقدمه من معطيات تتعلق بامور الحسبة والمنازعات حول الماء والأرض والمحاصيل ومشاكل الشراكات في التجارة والفلاحة

والإقامة بارض الكفار والاحباس ولما تورده من رسوم وأسماء لكن هذا لا يلغي أهمية هذه الأخيرة في البحث التاريخي .

خاصة وان مايميز الفتوى بالغرب الإسلامي أنها موحدة لانهم لا يقتصرون على ما هو محلي بل نجدهم يضعون النازلة في اطار أوسع يمتد ليشمل الغرب الإسلامي ويتجاوزه أحيانا باعتبارهم ينهلون من مرجعية واحدة مما يجعلهم يختزلون مشاكل وخصائص هدا المجتمع الواسع في أحكام شرعية تميل الى التعميم وهذا ما دفع بالمؤرخين الى اعتبار ان مادة المؤرخ تكمن في نص النازلة وليس في الفتوى ، كما يجب الإشارة انه لا يمكن فهم النازلة الا من خلال استطرادات والمقدمات التي يقدمها المفتي .[1]

3.كذلك فهم المصطلحات والتدقيق فيها وربطها بالفترة الزمنية للنازلة سواء تعلق الامر بمصطلحات فقهية أو اقتصادية، سياسية ،اجتماعية ..الخ.

وقد اخترنا في مداخلتنا هذه بعض النصوص بشكل انتقائي نبرز من خلالها واقع المجتمع القسنطيني

خامسا – التعريف بمخطوط النوازل و أهميته:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها: أن فقه النوازل تاريخ اجتماعي وثقافي بامتياز ويمكننا القول بأنّ الفتاوى مصدر مهم في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ويعتبر مخطوط النوازل [2] أو كتاب النوازل لصاحبه محمد بن عبد الكريم الفكون من المخطوطات البالغة الأهمية لدراسة تاريخ بايلك الشرق بصفة عامة ومدينة قسنطينة بصفة خاصة .والمخطوط الذي بين أيدينا هو ارث ثقافي لعائلة الفكون وهي إحدى أعرق العائلات القسنطينية، بهدف استنطاق النوازل التي احتواها هذا المخطوط والاستفادة منها بعض ما ميز المجتمع القسنطيني خلال العهد العثماني احتوى هذا المخطوط أو كتاب النوازل: على أكثر من ثلاثمائة (300) نازلة ، جاءت في أكثر من 400) (ورقة ، مرقمة ترقيما تسلسليا بأرقام هندية ، شملت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية ،الاجتماعية، و الثقافية . أجاب عنها مجموعة هائلة من العلماء منهم العلماء المحليون ومنهم

[1] محمد فتيحة ،النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6الى 9هـ/15/12م ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء ،1999،ص-ص -18-23.

[2] النازلة الشديدة التي تنزل بالناس ابن منظور لسان العرب ج1،دار بيروت ،دون سنة ،ص 956

المغاربة والمشارقة .وقد عمل صاحب المخطوط على تقسيمه إلى ستة فصول، أو أقسام، كل فصل يحتوي على عدد من النوازل ،تهتم بجوانب معينة من الحياة . والملاحظ على هذه الفصول أنها تختلف من فصل إلى آخر ، من حيث عدد النوازل المحتواة ، فالفصلان الثالث والسادس أكثر الفصول احتواء للنوازل . وقد جاء التقسيم على النحو التالي:جاء الفصل الأول تحت عنوان "مسائل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام به حوالي ثلاثون (30) نازل،الفصل الثاني عنونه ب"**ومن مسائل النكاح و الطلاق والخلع والعادة والنفقات**، احتوى على حوالي ثلاثون (30) نازلة[1].

الفصل الثالث عنونه مسائل البيوع والصرف والشفعة والقسمة والاستحقاق "، وقد احتوى على ما يناهز سبعين (70) نازلة.

الفصل الرابع بعنوان"ومن مسائل الشركة والوديعة والعارية والقراض والصلح والغصب "، به أكثر من 35 نازلة.

الفصل الخامس:نوازل الأكرية والإجارة والرهون "، احتوى على حوالي ثلاثون (30) نازلة.

الفصل السادس : جاء بعنوان"ومن مسائل الهبة والصدقة والوصايا والحبس واشتمل على حوالي خمسة وستون (65) نازلة[2].

-أما فيما يخص الخط فقد كتب المخطوط بخط مغاربي) أندلسي (واضح نوعاما، وبلغة تمازجت فيها العامية وهي اللغة التي يسأل بها أصحاب النوازل ولغة سليمة استعملها بصفة خاصة العلماء والفقهاء الذين أجابوا عن هذه النوازل .

وقد الف الكتاب بعد 1073 هـ(1662).

أهمية المخطوط :

يعتبر كتاب النوازل من أهم المصادر التاريخية إن لم نقل أهمها لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لبايلك قسنطينة، خلال القرنين العاشر هجري 16 م- 17م والحادي عشر هجري وتكمن أهميته في كونه فيما يلي :

[1] ابن الفكون محمد بن عبد الكريم،م خطوط النوازل،

[2] نفسه

*مرآة عاكسة لانشغالات السكان اليومية وما يزل عليهم من شدائد ومشاكل ،فهو بذلك يعطينا صورة حية عن الحياة اليومية لسكان بايلك الشرق.

*إشارة الكتاب من خلال نوازله، إلى العادات والتقاليد والأعراف التي كانت منتشرة في البايلك بالإضافة إلى العلاقات الأسرية.

*احتوائه على عدد كبير من النوازل التي تمس الجانب الاقتصادي، يعطينا فكرة واضحة عن الحياة الاقتصادية بمختلف جوانبها الزراعي، الصناعي والتجاري.

*ذكر المخطوط لعدد كبير من العلماء والشخصيات الفكرية واعتماده على أمهات الكتب يجعله مصدرا ثقافيا وفكريا بالع الأهمية.

*التفصيل الذي حمله الكتاب فيما يخص إجابات العلماء والاستدلال بمختلف الفتاوى الفقهية يجعل من الكتاب احد أهم المصادر الدينية والفقهية.

سابعا –جوانب من الحياة الاجتماعية من خلال النوازل:

1-الزواج : تناولت النوازل العديد من الإشارات المتعلقة بالزواج من خلال نوازل النكاح حيث بينت لنا كيفية إتمام الزواج في بايلك قسنطينة بدءا من الخطبة حتى يوم الزفاف

فمن العادات ان الرجل الدا أراد الزواج التوجه مباشرة الى أبيها مثل"...وهي ان رجلا خطب رجل ابنته فأجاب خطبته وأنكحه إياها"[1]

كما يتبين من خلال النوازل ان الخاطب يتفق على الصـــداق أو المهر الذي ينقســـم الى معجل ومؤجل أو المؤخر كما احتوت بعض النوازل على بعض العادات فيما يخص تقاليد الزواج الا وهي قيام الزوج وأهله بمهادات الخطيبة في المواســـم والاعياد ....الخ، وتأتي بعدها مرحلة التشـــوير او التجهيز والتي كان يقوم بها الاب وقد ذكر في بعض النوازل ما كان يحتويه جهاز العروس مثل عباءتين ؛لحافين؛رداءاين؛ الفرش؛الســتائر؛ الحلي ســواء ذهب أو فضــة، النحاس وكثيرا ما كانت الأمهات يساهمن في المساعدة في تشور بناتهن حتى ولو تخلين عن حليها او نحاسه مثلما جاء في النازلة"...وان الأمهات يعينون الإباء في تشـــوير بناتهن لمتزوجهن بما في ايديهن من الحلي

[1] ابن الفقون محمد بن عبد الكريم ،مخطوط النوازل ، ص61

والملابس والفرش والفر والســـتار وربما كان ترك التشـــوير عليهن هذا عرف جاري ...في بلدنا قسنطينة..."[1]

والملاحظ على أهل الشرق الجزائري أنهم كانوا يعملون على تقيد الشوار الجهاز أو التصريح به ويكون هذا في ليلة توجيه الشوار إلى بيت الزوج وبحضور الناس ، وهذا

ما يتضح من خلال النازلة ..." رجلا عقد النكاح على ابنة من دوات الاقدار وبصداق مسمى زائد على صداق أمثالها ...فلما كان ليلة تقيد الشوار على عادة أهل البلد وحضر الناس للتقييد وأبرز الشوار وقيد على العادة ثم لما رفع وقفت والدة البنت على رؤوس الناس قائلة ما أعطيت لابني من القش هو لها بعد منام عيني ...لها تأويلا وكل ذلك لابنتي"..[2].

والشيء الملاحظ أن أهل الزوجة كثيرا ما كانوا يبالغون في تشوير بناتهم، وهذه

المغالاة نجدها بصفة خاصة عند سكان الحواضر وخاصة الأغنياء منهم ، وهذا ما ورد في النازلة ..."في الحواضر يعطون بناتهم لأمثالهم ويجهزونهن بالحلي المصوغ

من الذهب والفضـة والجواهر والأحجار الرفيعة والملابس الفاخرة والفراش والسـتار والنحاس وغير ذلك بأضعاف أضعاف ما يبدله الزوج من المسمى والهدية ... والإنفاق على الوليمة [3]."...وهذه المغالاة في الجهاز خشية من المعايرة من جهة والتباهي أمام الأقارب والنساء الأخريات من جهة ثانية ، ولكي تكون للزوجة مكانة رفيعة عند زوجها، وهذا ما يشـير اليه قول السـائل ..." وفي عصـرنا هذا جرا عرف ببلدنا برفع الصـداق والتفاخر بكثرة الشـوار ومن لم يفعل ذلك فتلحق ابنته المعرة وعدم الحظوة عند الرجل فلما إن رأوا ذلك من أدنا الناس وصـار عندهم عرف جاري يهتم من كان له بنت أو بنات من وجودهن عنده ويصـدق عليه قوله تعالى وإذا بشـر أحدهم بالأنثى ضل وجه مسودا وهو بهم خوفا من فقره ."[4]...

-كما يمكن أن نستنتج من بعض النوازل مدى الخوف والقلق الذي كان يعاني منه الآباء ببايليك قسنطينة ، هذا الخوف كان وراؤه كثرة تكاليف تجهيز البنت وعدم قدرة الآباء على ذلك

[1] نفسه،ص 48
[2] نفسه ص48
[3] نفسه 50
[4] نفسه 49

، وهذا ما يستشف من قول السائل..."إذ هو القيم عليها حتى انه باع بعض رباعه في شوارها ...ويقول نبيع لنستر روحي من ابنتي أولا يلزمه ذلك[1]"...

– كما تشير النوازل عادة كانت منتشرة بالبايلك ألا وهي عادة الحناء فكثيرا ما نجد أن الاب يطلب أن تكون لابنته الحناء وهذا بملابس ثمينة يعادل ثمنها في كثير من الأحيان قيمة الصداق معجله ومؤخره ، ففي هذا الموضوع يذكر ابن الفكون ..." وجعل لها الحناء بحوائج مثمنة بما يقرب من معجل الصداق ومؤجله غير شرط وبنابها الزوج الآن ومكثت سنة أو أزيد وتوفيت."...[2]وهذه العادة نجدها مازالت في وقتنا الحالي وفي معظم مناطق الجزائر.

–وفيما يخص ليلة الزفاف أو ليلة البناء فتذهب جدة البنت باكرا وتأخذ معها بعض الأشياء أو كما يذكرها الكاتب فربما تكون مأكولات أو هدايا، وفي المقابل يمنح لها هدايا، و هذا حسب عادات أهل منطقة الشرق الجزائري، وهذا ما اتضح لنا من خلال النازلة..." ثم بعد البناء من ثلث الليلة أتت جدة البنت بأسباب آخر صبيحة البناء بالبنت وأعطتهم لها وأعطوها أسبابا أخرى في الزيارة على العادة وأعطاها الزوج ليلة البناء ما هو عاده لها عليه وبقيت البنت تتصرف في ذلك[3]"...

–أما سكن الزوجين فتشير نوازل ابن الفكون أنه كان– في غالب الأحيان –مع والد الزوج أي في بيت العائلة الكبيرة، وفي بعض الأحيان يسكن الزوج عند أهل زوجته، حيث تذكر المسألة " في مسألة... وانكحه إياها وبنا بها الزوج بدار والدها ومكث بها .حيث ذلك مدة أشهر وأراد السكن بها بداره مع أبويه وزوجة له سابقة"...[4]

2– الطلاق: أمدتنا النوازل والفتاوى الفقهية التي جاء بها كتاب النوازل بمعلومات قيمة عن ظاهرة الطلاق ، وأهم الأسباب المؤدية للطلاق منها :

[1] نفسه 49

[2] نفسه ،ص 62

[3] نفسه ،ص 44

[4] نفسه ،ص 72

*ظاهرة إرغام البنات على الزواج دون رضاهن وهذا السبب دائما يكون وراء ترك الزوجة لبيت الزوجية والذي يؤدي في معظم الأحيان إلى انفصال الزوجين أو الطلاق وهذا ما توضح النازلة ..." فأعطاها للولد المذكور ...والحالة أن البنت المذكورة منكرة لجميع ذلك ونافرة من الولد كل الأنفار وأجبرها على نكاح الولد وعقد عليها ...ولا رضا ولا توكيل ...ولما بنا بها الولد فرت منه عنده وحرت إلى دار أمها ومكثت عندها ما يزيد السنتين والأم تراود فيها وجميع أقاربها على الرجوع ولم يزدها كلامهم إلا نفورا[1]"

3-المشاكل الاسرية : تشير إحدى النوازل أن الكثير من المشاكل الأسرية سببها زوجة الابن التي تحاول الخروج من بيت العائلة والسكن وحدها وهذا ما يعارضه أب الزوج الذي كان يتولى مسؤولية الإنفاق على العائلة الكبيرة، وعلى ابنه وزوجته .ولم يقتصر الخلاف بين الزوجة ووالد الزوج بل تعدد ليصبح الخلاف والنزاع بين الإخوة المتزوجين والمقيمين تحت سقف واحد حيث يقول السائل "سيدي رضي الله عنكم وارضاكم رجل وقع بينه وبين أخيه شيئان عظيم وحرج كبير.والحالة أنهم ساكنين بدار واحدة فحلف احدهما بحرام نسائه لا سكنت فيما يستقبل معك ما دمت حيا في الدنيا وخرج من الدار ومكث مدة من السنين حتى إلى ألان أراد المحلوف على سكناه أن يسكن معه فامتنع الحالف من دالك.[2]"...وهذا المشكل من المشاكل التي مازال يعاني منها المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا.

*كما نستنتج من خلال نوازل ابن الفكون أنه كثيرا ما تحدث مشاكل داخل الأسرة بباليك قسنطينة بسبب عقوق الوالدين من طرف الأبناء وردة فعل الآباء بالمثل مما يزيد في حدة المشاكل داخل الأسرة الواحدة، فتذكر إحدى النوازل أن أبا أنكر إقراره بالدين لابنته وهذا بسبب عقوقها حيث نصت النازلة ..." وهي رجل مرض وله ابنته اعترف لها في المرض المذكور بأن لها في ذمته دينا من تركة والدتها المتوفية عن عصمة نكاحه ومن خدمة البنت المذكورة ثم ... أن الرجل برا من مرضه ذلك وزوج البنت المذكورة

[1] نفسه ،ص 38

[2] نفسه،ص ،41

وجهزها ...فعاقته البنت المذكورة وخرجت عن طوع يده فاستظهر والدها المذكور ايداع في بعض الجهاز المذكور وأراد القيام عليها به وافكاك ما فيه الإيداع منها وغيره .فنازعته البنت المذكورة برسم إقرار لها بالدين[1]"...

4- كما تميزت الحياة الاسرية بتعدد الزوجات وانتشار ظاهرة الزواج المختلط بين سكان الحضر والبدو :

حيث يذكر ابن الفكون أن رجلا تزوج من امرأة ثيب من أهل البادية حيث تقول النازلة ..."رجل تزوج امرأة ثيب من أهل البادية من خارج بلده ومن شانها الفرار والنشوز عنه من بلده إلى بلاد القبائل...."[2]

*ظاهرة تعدد الزوجات وانتشارها في بايليك قسنطينة وهذا ما يفسره خوف النسوة واشتراطهن على أزواجهن بعدم الزواج عليهن وهذا بالإشهاد والتوثيق حيث نصت النازلة ..."لم يزل يتردد إليه المرة بعد المرة بكل من له وجاهة وصيت في بلدها إلى أن طلبت منه ألا ترجع إلى بيته إلا أن يشترط على نفسه أن يضع لها سوارا من ذهب وألا يتزوج عليها غيرها.. [3].

5- الإرث و الهبات : تفيد بعض النوازل في وجود عادة عند بعض السكان وهي عدم إدخال أولاد البنات في الإرث تصريحا مقصودا ولا يكتفي باللفظ فقط ، حيث تنص إحداها..." وجميع الأرض المعروفة بكذا اشهد انه حبس جميع الأماكن المذكورة...على ولده فلان وعلى كل ولد يحدث له.. وعل أولاد أولاده المذكورين منهم دون الإناث[4] "...

*تعدد الهبات والصدقات والوصايا داخل نطاق الأسرة الواحدة فكثيرا ما نجد الرجال أو النساء يتصدقون على أولادهم أو أحفادهم ، أو يوصون بجزء من أملاكهم

[1] نفسه، ص38

[2] ابن الفقون محمد بن عبد الكريم، نفسه، ورقة 40،41

[3] نفسه ،ورقة 51-50

[4] نفسه ، ورقة 371-372

للابناء..."أشهدت فاطمة بنت حمود النيار أنها كانت في سابق التاريخ سلمت لابنتها عائشة بنت علي بن أبي عبد الله السليماني بجميع ما صار لها بالإرث والاسترداد من
الأسباب المخلفة من متروك حفيدتها لابنتها حفصة بنت علي المذكور... أشهدت ألان أنها تصدقت على حفيدها لابنتها عائشة المذكورة وهو احمد بن محمد...وذلك بتاريخ أوائل شهر شوال عام ثمانية وتسعين وتسعمائة[1]" ...

6-التكافل الاجتماعي: يرسم كتاب النوازل صورة واضحة عن التكافل الاجتماعي داخل المجتمع وعن الأحباس ودورها في تحقيق الرعاية والتكافل الاجتماعي.

* كان لليتامى نصيبا من هذا الاهتمام حيث وفروا لهم العيش الكريم.فبعض النوازل تشير إلى رعايتهم والدفاع عن حقوقهم خاصة داخل الأسرة ، فكثيرا ما يحرص أفراد الأسرة أو العائلة على عدم التعدي على حقوق اليتامى وتمكينهم من الحصول عليها، حيث جاء في نازلة ..." ثم قام الآن أولاد الفقيه المتوفي المذكور طالبين من عمهم السيد محمد المذكور ما جالت يد والده وجدهم في مخلفات والدهم لبلوغ وثبوت رشدهم وهم زيد وخالد الشقيقان ...فامتنع أولا من ذلك ثم وافق عليه رفقا به وإحسانا إليهم واسقط عنهم ذلك لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم . وصلة الرحم فقبلوا منه ذلك الإخوة المشار إليهم[2]. " ..

* الاحباس : احتلت الأحباس أو الأوقاف مكانة هامة في الحياة الاجتماعية حيث كان لها دورا فعالا في تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع.

اهتم أهل إقليم قسنطينة أيضا بالتحبيس على الفقراء والمساكين حيث تذكر نازلة أن رجلا حبس دارا على الفقراء والمساكين، وهذا نصها ..." :عن رجل حبس على بنتي عمه الدار التي ملكه ... فان انقرضنا معا رجع ذلك للفقراء والمساكين"[3]...

تعددت الأحباس في البايلك على الزوجات والأولاد والأحفاد، وهذا بهدف تأمين حياة كريمة لهم من جهة والحفاظ على هذه الأملاك من محاولات مصادرتها من جهة ثانية، وهناك عدة إشارات

[1] نفسه، ورقة 287-288

[2] -نفسه، ورقة 105

[3] - نفسه ، ص 351

جملتها النوازل والفتاوى الفقهية إلى مثل تلك الأحباس . ومنها أن رجلا يدعى بأبي الفضل قاسم الفقيه حبس جميع أملاكه على أولاده وعلى أعقابهم .[1]وتفيد نازلة أخرى بقيام رجل يدعى إبراهيم بن محمد بتحبيس دارا وجنة على أولاده محمد الصغير وأخته .[2]كما نجد أن التحبيس لم يقتصر على الأبناء فقط بل كان على أبناء الأخ أيضا وهذا ما توضحه النازلة..." جوابكم عن مسألة وهي أن رجلا حبس أملاكا على أولاده وأولاد أخيه ذكرا كان أو أنثى[3]"...

كما تفيدنا إحدى النوازل في أن الفقهاء ورجال الدين كان لهم نصيبا من التحبيس تشير إلى أحد الفقهاء المدعو بأبي عبد محمد المدوري حبس أملاكا له داخل مدينة قسنطينة وخارجها على أولاده وهم : أبو عبد االله ومحمد الاصغروعبد الله ثم على أولادهم وأولاد أولادهم ففي هذا المجال نصت النازلة ..." وهي أن الفقيه أبا عبدالله محمد المدوري حبس أملاكا له داخل قسنطينة وخارجها على أولاده..فان انقرضوا على عن آخرهم وجمع شطر ذلك ...بالجامع الأعظم داخل المدينة المذكورة والشطر الاخر
.للمساجد بالبد المذكورة..."[4]

7- الوضع الصحي: لقد زودتنا نوازل ابن الفكون بمعلومات وإن كانت قليلة أو مجرد إشارات عن الوضع الصحي في بايلك قسنطينة وأهم الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة بين الناس وكيف تعامل معها السكان.

من أهم الأمراض التي كانت منتشرة بالمنطقة مرض الإفرانصي أو الإفرنج
و تذكر إحدى النوازل أن المرأة أو البنت المقبلة على الزواج إذا ظهر بها هذا المرض ترد إلى أهلها لأنه يعتبر عن أهل قسنطينة من العيوب التي ترد بها الفتاة، وهذا ما يتضح لنا من خلال النص الإجابة عن النازلة..." هذا مرض الإفرانصي هو نوعين نوع منه تصيب الإنسان ذا برت تبرأ عن شين من تغوير وانكماش جلد ويترقب عوده النادر .. الأطباء أنه نوع من أنواع الجذام ومن عادته أن يكمن في الجلد فترد به المرأة

[1] -نفسه ورقة 324
[2] -نفسه ،ورقة 392
[3] -نفسه ،ورقة 343
[4] - نفسه، ورقة 273

قولا واحدا والنوع الثاني منه خروج حبوب تنتشر على سطح البدن تخرج منها اوعا...
يبدأ بالمعاناة من أكل المسخنات والمراهم المقرحة فادا برا يبرأ عن غير شين ويدهب اثره..."[1]

الخاتمة

بيّن مما سلف بيانه أنّ كتب فقه النوازل من المصنفات التي تعد مصادر أساسية للتاريخ الاجتماعي الثقافي لواقع السائل والمجيب، ولا تتأتى القراءة إلاّ لمن امتلك الأهلية الذهنية لقراءة نصوص النوازل، فضلا عن الأهلية المعرفية التي تيسّر له الدخول إلى رحاب نص المعرفة في العلوم الإسلامية، كما أنّ استنتاج التاريخ الاجتماعي والثقافي من نص النوازل يستدعي رصيدا مقبولا على الأقل من مناهج التحليل والتركيب المتعلّق بالعلوم الاجتماعية والمشهد الثقافي،

1 ـــ نظرا لما تحتويه مصنفات فقه النوازل من تاريخ اجتماعي وثقافي وسياسي وفكري و...فإنّ قيمة هذه المصنفات كبيرة جدا من الناحية المعرفية فضلا عمّا سلفت الإشارة إليه، وهذا يفرض نشر العناية بتحقيق نصوص فقه النوازل ونشرها وتداولها، وتشجيع الباحثين من مختلف التخصصات الاجتماعية والثقافية والفكرية على تحليل النص بعد تحقيقه من قبل مؤهلين.

و نستخلص من خلال تناولنا لموضوع جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خرجنا بعدة استنتاجات سنحاول حصرها في النقاط التالية:

- المجتمع في بابليك قسنطينة كان مجتمعا لعبت فيه الروابط والمصالح المشتركة دورا فعالا في تماسكه، وهذا رغم الهزات السياسية التي عرفها البايلك.

-ظاهرة التفكك الاجتماعي من جراء تفشي مختلف مظاهر الفساد والانحلال الخلقي والذي كان للتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عرفها البايليك دورا فيه.

-بروز دور المرأة في البايلك في الجانب الاقتصادي والاجتماعي وتغيبها في الجانب الثقافي والسياسي رغم الاضطهاد الدي كانت تتعرض له من الرجال خاصة وان المجتمع كان مجتمعا يسيره الرجل وفق ميولاته.

ونخلص في النهاية إلى القول بأن فقهَ النوازل فقهٌ متحرك في الزّمان والمكان، مَرنٌ إذا تغيرت الملابسات والظروف، متفاعل مع كل ما يحدث ويستجد. وإننا في زمن العولمة، وعصر الحداثة

[1] -نفسه ، ورقة 61

وأمام التحديات التي تفرزها وتفرضها الحياة المعاصرة المتسارعة، يتحتم علينا تَفُقُّدُ تراثِنا الفقهي ومراجعتُه، واستثمار أصوله ومناهجه وقواعده في الإجابة عن التساؤلات والنوازل.

فإذا اجتهد أسلافنا في إيجاد الحلول لمشكلاتهم، فينبغي لنا أيضا أن نجد الحلول لمشاكلنا، وهي كثيرة جدا، في عالم الاقتصاد والأموال والبنوك والعقود الإلكترونية، في ميدان الطب أمام الاكتشافات والاختراعات التي تطلعنا بها العلوم كل لحظة لا كل يوم، وفي مجالات السياسة والحياة الاسرية والاجتماعية.